الصحة والجمال في النص القرآني

الصحة والجمال:

تصدى النحاة العرب لدراسة اللغة العربية وغايتهم التى يسعون إليها هى إنشاء نظام طابعه الاطّراد ومن ثم اعتدّوا بقطبى الاتفاقات والفروق فجعلوا الاتفاق أساس الباب الواحد وجعلوا الفرق أساس تعدّد الأبواب. ثم إنهم بعد البحث عن الاتفاقات فى حدود الباب الواحد وصلوا إلى القاعدة الكلية للباب ونسبوا إليها الاطراد. وبعد النظر فى الفروق وصلوا إلى القواعد الجزئية وهى استثناءات من القواعد الكلية تجد تبريرها فى أمن اللبس. ذلك بأن من طبيعة الاتفاق أن يؤدى إلى اللبس ومن طبيعة الاختلاف أن يؤدى إلى أمن اللبس. ومن نتائج الاتفاق تعدد الاحتمالات. فلو قلنا مثلا: «غادرته غاضبا» لم يعلم السامع من الغاضب أهو الفاعل أم المفعول فمن شأن صاحب الحال أن يكون معرفة وقد اتفق الفاعل والمفعول فى التعريف ومن شأنه أن يتقدم على الحال وقد اتفق الضميران فى التقدم عليها ومن شأن المتكلم والغائب العاقل أن يتفقا من حيث إمكان الغضب. وأخيرا لم تقم قرينة تشير إلى فرق بينهما يرجح أن تكون الحال لأحدهما. فكثرة الاتفاقات وانعدام الفروق أديا إلى اللبس. ولو أننى قلت: غادرته يتميز من الغضب لكان إسناد المضارع إلى الغائب قرينة على أن الغائب هو صاحب الحال. إذ إن هذا الاسناد جاء للفرق بين الفاعل المتكلم والمفعول الغائب.

من ثم كان على النحاة أن يعيّنوا القرائن الدالة على كل باب على حدة، وأن يفصّلوا القول فيها فى نطاق النظام النحوى فى جملته، فتكلموا عن القرائن الآتية:

١ ـ **التضام**: ويقع تحته الافتقار والاستغناء والاختصاص وعدمه والمناسبة المعجمية والمفارقة المعجمية.

٢ ـ **الرتبة**: وتحتها الرتبة المحفوظة وغير المحفوظة التى تسمح بالتقديم والتأخير.

٣ ـ **الربط**: وتحته المرجعية (إعادة الذكر وعود الضمير والإشارة وأل والموصول والصفة) وتحته أيضا المطابقة (فى الشخص والنوع والعدد والتعيين والإعراب).

٤ ـ **البنية**: وتحتها اشتراط صيغة صرفية معينة للبابْ النحوى المعيّن كالاشتقاق للحال والجمود للتمييز.

٥ ـ **الأداة**: كأدوات الجمل والحروف الداخلة على المفردات ومايستفاد من ذلك نحويا.

٦ ـ **دلالة السياق**: وهى قرينة تركيبية الطابع تفهم فى نطاق القرائن السابقة كدلالة «إلا» على الاستدراك فى قوله تعالى: ﴿ **طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ** ﴾ (طه ـ ٣) أى لكن تذكرة، ودلالة «إنْ» على النفى إذا وليتها «إلا» نحو: ﴿ **إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِير** ﴾ (فاطر ٢٣) وعلى التخفيف من الثقيلة إذا وليتها اللام نحو ﴿ **وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّه** ﴾ (البقرة ١٤٣).

فى ضوء هذه المعطيات كان النحاة يحكمون بالصحة والخطأ. غير أن اللغة أوسع من النحو لأن هموم الاستعمال اللغوى ليست نحوية فقط إذ هناك الجانب الأسلوبى الذى يُدْخل على النحو أمورا مثلَ العدول عن الأصل بواسطة الزيادة والحذف والتضمين والتغليب والمجاز والترخص فى القواعد والتوسع إلخ. فكل أولئك صور من الشجاعة الأسلوبية التى تتحدى الاطراد الذى قننه النحاة. انظر مثلا إلى قوله الشاعر:

ألا يا اسلمى يا دارمى على اليلى ولازال منهلاً بجرعائك القطر

وتأمل كيف قدم الدعاء بالسلامة للدار بعد البدء فى ندائها ثم عاد فناداها بتكرار

حرف النداء وجعل ذلك أسلوبا للتعبير عن حرصه على سلامة الدار ولوكان قصده غير ذلك لكان له مندوحة أن يقول: «ألا فاسلمى يادارمى» ولكان النداء غير مكرر. ولعل هذا التركيب الشعرى يلقى الضوء على تكرار اللام والفصل بين اللامين بـ «ما» الزائدة للتأكيد فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كُلاً لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (هود١١١). فتكرار اللام والفصل بين اللامين «بما» شبيه بتكرار حرف النداء والفصل بين حرفى النداء بفعل الدعاء «اسلمى».

والقرآن نزل بلسان عربى مبين قبل أن يكون النحو والنحاة. ففيه زخم اللغة الذى يتمثل فى صور العدول عن الأصل للوصول إلى غايات أسلوبية. وفى القرآن قراءات مختلفة وُصِف بعضها بالشذوذ ولكن الشرط فى قبول صحة هذه القراءات كان ضرورة موافقتها للعربية (أى لقواعد النحو) ولو بوجه (أى ولو بتوجيهها إلى أصل من أصول النحو). من هنا يتضح أن قضية الصحة قضية نحوية أولا ثم تكون أسلوبية بعد ذلك من حيث ارتضنى النحاة الاعتداد بالوسائل العدولية السابقة كالزيادة والحذف إلخ لأنهم صادفوها حقيقة واقعة فى الاستعمال اللغوى وفى أرقى نصوص اللغة العربية وهو القرآن الكريم فلم يكن هناك سبيل إلى رفضها أو التنكر لها.

وقد تتحقق الصحة ولا يتضح المعنى لأن التركيب ليس له مضمون مثل قول المجنون بن جّندب:

محكوكة العينين معطاء القفا ... كأنما قدت على متن الصفا

ترنو إلى متن شراك أعجفا ... كأنما ينشر فيه مصحفا

والعلة فى ذلك هى المفارقة المعجمية بين مفردات التركيب. والمعروف أن هناك مايسمى «الحقول المعجمية» وقد اشتهر منها لدى علماء الأنثر وبولوچيا حقل ألفاظ القرابات وحقل ألفاظ الألوان ولكن الأمر أوسع من ذلك فلو أخذنا ما فى الأفعال من معانى الأحداث لوجدنا الحدث المعين يتطلب فاعلا ذا شروط معينة بمعنى أننا لو أخذنا فعلا مثل «فهم» لوجدناه يتطلب فاعلا ذا قدرة على التفكير. فإن قلت: فهم

التلميذ الدرسى فإن بين الفعل وفاعله مناسبةً معجمية أما إذا أسندت الفعل إلى الحجر مثلا فإن الجملة تكون صحيحة من الناحية النحوية صالحة للتحليل الإعرابى أما من حيث الدلالة فلا معنى لها لأن بين الفعل وفاعلة مفارقةً معجمية. لايداويها إلا وجود قرينة تحوّل التركيب من فساد المعنى إلى المجاز كأن يدل لفظ الحجر بواسطة القرينة على الغبى مثلا. ولا عجب لأن المجاز بحكم التعريف: نقل لفظ من معناه الحقيقى إلى معنى آخر لعلاقة بينهما مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى.

والمعانى بحسب طبيعتها ثلاثة أنواع: أولها المعنى العرفى الذى هو شركة بين الناس فى المجتمع الواحد وذلك كالمعنى اللغوى للمفردات والتراكيب وكالمعانى التى تعبر عنها أضواء المرور وملابس الحداد وطقوس الاحتفال وهلم جرا. وثانيها المعنى العقلى أو المنطقى وهو الذى يرتب النتائج على المقدمات ويصل بذلك إلى الأفهام والأحكام من خلال حركات الذهن. وثالثها: المعنى الطبيعى الذى هو ثمرة الانطباعات والمؤثرات الحسية كالذى نحسه عند رؤية المنظر المرسوم فى الصورة الزيتية أو المعبرَّ عنه بالصورة البيانية أو عند سماع الموسيقى أو الشعر أو التمثيلية المسرحية.

كل ذلك من قبيل المعنى الطبيعى الذى عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** ﴾ (البقرة ٢٧٣). فإنت عند معرفتهم بسيماهم لابد أن ترق لهم وأن تعطيهم إذ إن سيماهم تفهمك المعنى الطبيعى الذى يؤثر فى نفسك. وأكثر ما يرتبط الجمال والقبح إنما يكون بهذه المؤثرات الطبيعية. أما المعانى العرفية والعقلية فإنها تستعمل للإعانة على بناء هذه المؤثرات كما فى الشعر والتمثيل ونحوهما. والمفروض أن الأسلوب فردى وأن اللغة ظاهرة اجتماعية وأن الجمال يرتبط بالأسلوب فى الأساس ثم لايرتبط بخصوص اللغة إلا بعد ذلك من حيث إن بعض اللغات أطوع من بعض فى التعبير وصياغة المؤثرات الطبيعية.

ولعل الفارق الأساسى بين العلم والفن أن العلم يعتمد فى الجملة على المعانى العقلية وأن الفن فى الجملة يعتمد على المعانى الطبيعية. ففى العلم فرض وتحقيق

فرض ونتيجة وفيه قياس واستنباط الخ. إما الفن ففيه أسلوب فردى وإلهام وإيحاء وبعد عن العرف وربما ترخص فى مطالب العقل والمنطق. ومن ثم يسعى العلم إلى ضمان الصحة ويسعى الفن إلى التعبير عن الجمال. لقد تمكن الفن فى بعض صوره أن يتجافى عن المعقول فكان سيرياليا أو عبثيا أو لا معقولا أو غير ذلك. أما العلم بكافة صوره فلا مناص له من مطابقة العقل والمعقول، سواء فى ذلك العلوم الرياضية والطبيعية والإنسانية. ولو أننا رجعنا إلى الآية الكريمة السابقة لوجدنا فيها موقفين مختلفين من النظر الواحد، فأما الجاهل فقد حسب الفقير غنيا بسبب تعففه وأما الحاذق فقد رآه محتاجا بسبب سيماه التى تطبع صورته وتصرفه وهكذا اختلف التفسير واتفقت الصورة وهذا شأن الإدراك للمعنى الطبيعى الفنى.

وخلاصة القول أن للاستعمال اللغوى جانبين أحدهما جانب الصحة والثانى جانب الجمال، أو بعبارة أخرى أحدهما جانب التركيب والثانى جانب الأسلوب أوهما جانبا التعبير والتأثير وهمنا فيما بقى من هذا العرض أن نبرز الجانب الجمالى للأسلوب القرآنى سواء بتعلق هذا الجمال الأسلوبى بالأصوات أم بالصيغ أم بالمفردات أم بالتراكيب أم بالنواحى النصية وما يميزها من ترابط النص وأن القرآن يفسر بعضه بعضا وهو ما يسمى حديثا باسم «التناص».

مستويات من جمال الأداء القرآنى:

١ ـ المستوى الصوتى:

للأصوات مخارج وصفات تتمايز بها ومن ثم يأتى التعبير عن هذه الصفات بأنها «سمات مميِّزة» يؤمن اللبس بواسطتها لأنها من قبيل «الفروق» التى سبق الكلام عنها منذ قليل. هذا هو الجانب العلمى أو العقلى إن شئت لدلالة هذه الأصوات على مستوى الدرس، وهو الجانب العرفى أيضا على مستوى الفهم باستعمال هذه الأصوات فى مجتمع لغوى ما. غير أن للأصوات جانبا طبيعيا انطباعيا تأثُّريا كالذى أشرنا إليه بالنسبة لصوت الموسيقى والغناء. ويأتى التأثير الأسلوبى الصوتى من خلال استعمال المخارج حينا والصفات حينا آخر ومن جملة مميزات الصوت مفردا أو

مركبا حينا ثالثا. فأما من حيث التأثير بأسلوب **إخراج الصوت من مخرج معين يختلف** عن مخرجه الذى هو له فى الاستعمال المعتاد فإننا نجد أمثلة لذلك فى الأسلوب القرآنى منها مايلى:

* تحويل الفعل «تثاقلتم» إلى «إثَّاقلتم» فى قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ** ﴾ (التوبة ٣٨) إذ تحولت التاء إلى مخرج الثاء وأدغمت فيها للإيحاء بواسطة الثاء المشدّدة يتسرب الطاقة المعينة على الحركة ثم جاءت عبارة «إلى الأرض» للاشارة إلى نتيجة هذا التسرب بالإخلاد إلى الأرض.

* قد يتغير المخرج من خلال الجناس الناقص كما فى قوله تعالى: ﴿ **وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ (الأنعام ١٠٠). فاختلاف المخرج بين اللام الجانبية والراء اللثوية مع قرب معنى الإيجاد فى الفعلين واختلاف طابعهما هو المقصود هنا لأن الخلق إبداع والخرق ادعاء أخرق للإيجاد.

* جمع المِقْلد وهو المفتاح على القياس «مقالد» وجمع الإقليد وهو المفتاح أيضا «أقاليد» والله تعالى يقول: ﴿ **لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ (الشورى ١٢) ولايخلو الأمر هنا من أحد افتراضين أولهما إحلال الميم محل الهمزة تجنبا لوزن الأفاعيل إذ إن هذا الوزن يستعمل غالبا فى سياقات غير مسحبة مثل الأباطيل والأقاويل والأساطير والإكاذيب والألاعيبت والأحابيل والآخر وضع ياء المد موضع الكسرة وتحويل مقالد إلى مقاليد وهذا مستعمل فى نحو مفاتح ومواعد وذلك بقصد المبالغة.

* قال تعالى: ﴿ **وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الزخرف ٨٨) والمقصود «وقوله» فتحولت الواو إلى الياء مع ماياناسب الياء من كسر ما قبلها. وهناك شىء آخر وهو إعراب لفظ «قيله» على الجرء فقال بعضهم على القسم وقال البعض إنه عطف على الساعة من قوله تعالى قيل ذلك: ﴿ **وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ (الزخرف ٨٥) والقولان فى رأيى غير وجيهين لما فى الأول من حذف الجواب ولما فى الثانى من بعد

الشقة بين المعطوف عليه والمعطوف. ويبدو أن ذلك ترخص فى الإعراب مع أمن اللبس والسبب هو كراهية توالى الياء فى «قيله» وما يمكن أن يكون على اللام من الضمة ففى الأمر مناسبة صوتية. والترخص لأمن اللبس شائع فى القرآن والسنة والشعر وكلام العرب وامن اللبس شرطه الذى لاغنى عنه[1]. إذ يكون توافر عدد من القرائن الدالة على المعنى مبررا للترخص فى إحداها التى تعد فيضا فى القرائن.

* قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ (الفتح ١٠). القاعدة فى حركة ضمير الغائب أنه إذا سبق بياء أو بكسر فإنه يأتى مكسورا كما فى «عليه» ولو جاء مكسورا فى الآية لكانت اللام فى لفظ الجلالة مرفقة ولكن موقف التواثق والتعاهد موقف خطير يتطلب نوعا من تضخيم المسئولية. والتضخيم يناسبة التفخيم. ولما كان تفخيم اللام فى لفظ الجلالة يتطلب أن تسبق اللام يفتح أو ضم فقد استبدلت الضمة على الهاء بالكسرة من خلال تغيير وضع اللسان أثناء النطق وهذا تغيير للمخرج.

وقد يستبدل الأسلوب صفة الصوت بصفة أخرى لأن البديل يعبر عن أثر معين. ومن قبيل ذلك ما يلى:

* قال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونا** ﴾ (الأعراف ٣٨). أصل صيغة الفعل «تداركوا» ولكن مقاصد الأسلوب استبدلت جهر التاء بهمسها فتحولت التاء إلى دال ثم أدغمت الدال فى الدال فكانت النتيجة دالا مشددة مكونة من ساكنة ومتحركة جاء من تواليهما إيحاء بالتوقف الذى يعقبه اندفاع فجاء الانطباع بأن الأمم التى يلعن بعضها بعضا نكأكأت على مشارف النار ثم اندفعت فيها جملة فى تتابع وربما عزز هذا الأثر الإيحائى ما جاء بعده من قوله تعالى «جميعا» أى مجتمعين متتابعين.

* قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى** ﴾ (يونس ٣٥) أصل «يَهِدِّى» «يهتدى» فابدل الجهر من همس التاء فتحولت التاء إلى

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٣ ـ ٢٤٠ .

دال فتوالى دالان فلحقهما إدغام المثلين فسكنت أولاهما وتحولتا معا إلى دال مشددة قبلهاهاء ساكنة فالتقى ساكنا هما الهاء وأولى الدالين فتحركت الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين وهكذا اصار الفعل «يَهِدِّى».

والأثر الأسلوبى الذى يترك تحول التاء إلى دال وإدغامها فى الدال هو تخُّبطُ هذا الذى لا يهتدى إلا أن يُهْدَى وكأن كل حركة يتحركها تأتى عقب توقف وحيرة إذ تعبر أولى الدالين وهى الساكنة عن التوقف والحيرة وتعبر الثانية عن الحركة. هذا على الرغم من أن ثمة من يحاول هدايته.

* قال تعالى: ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (النازعات ٣٠).

وقال جل وعلا: ﴿ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ (الشمس ٦).

الآية الأولى جملة خبرية جاء الفعل «دحاها» فيها على الأصل فكانت فاء الكلمة دالا. أما الآية الثانية فجملة قسم إنشائية يناسبها أن يصحب القسم نوع من التأكيد. ويرى الأقدمون أن الدال إذا لحقها التفخيم صارت طاء. فإذا ارتضينا قولهم هذا كان معنى ذلك أن المخرج واحد وأن الذى حدث هو استبدال صفة التفخيم بصفة الترقيق. وهكذا يكون التفخيم بما يوحى به من الضخامة وسيلة من وسائل التأكيد لدعم الجملة القسمية.

* قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (الزمر ٦٤). الأصل «تأمروننى» وقد حدث فى التركيب أمران: الأول استبدال سكون النون الأولى (نون الرفع) بالفتح فكان من نتيجة ذلك إدغام إحدى النونين فى الأخرى، والثانى حذف «أنْ» المصدرية قبل الفعل «أَعْبُدُ» ثم رفع الفعل. وفى إدغام النونين إيحاء بما يكتنف أمرهم إياه من رفضه للطاعة وفى حذف أن إيحاء بالانفعال والرفض الداعيين إلى سرعة البت فى الأمر.

* قال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة ٢٤٥).

وقال جل شأنه: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ويقدر ﴾ (الرعد ٢٦).

مرة أخرى تظهر للتفخيم قيمة أسلوبية فى المعنى. فالأصول الاشتقاقية الثلاثة للكلمة هى (ب س ط) وقد جاء اشتقاق الكلمة مطابقا لهذا الأصل فى أماكنها الأخرى من النص القرآنى ومن هذه الأماكن آية الرعد المذكورة منذ قليل (الرعد٢٦). فلما كان المقامُ مقامَ تشجيع على الإقراض الحسن بواسطة العمل الصالح والإنفاق فى سبيل الله ومقامَ وعد بمضاعفة القرض عند الجزاء جاء فعل البسط بتفخيم السين وانقلابها صادًا فكان معنى ذلك أن تفخيم السين دليل على جديه الوعد بالمضاعفة لأن من شأن الله سبحانه أن «يبصط» الرزق وهو من ثم أهل لأن يبصط الجزاء بالمضاعفة. ومثل ذلك يأتى الفرق بين كلمة «بسطة» فى قوله تعالى: ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ (البقرة ٢٤٧) وتظيرتها «بصطة» فى قوله تعالى: ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ (الأعراف ٦٩) فالآية الأولى جاءت لتفضيل طالوت على المخاطبين ولكن الثانية جاءت لتفضيل المخاطبين أنفُسِهم ومن ثم كان التفخيم دليلا على عظم فضل الله عليهم ولذلك جاء بعده مباشرة ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف ٦٩). والأمر كذلك فى قوله تعالى: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية ٢٢) واشتقاقها من (س ط ر).

* وقال سبحانه: ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ (ص ٣٢). فى هذه الآية تضمين «أحببت» معنى «فضلت» وقرينة ذلك مجىء «عن» معها إذ دل حرف الجر على أن المراد المفاضلة والمعلوم أن الفعل «أحببت» يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد فالقضية إذاً ليست مجرد حب لطرف واحد وإنما هى تفضيل طرف على طرف آخر هو ذكر الرب. والأمر الثانى وهو موضع الاستشهاد استبدال التكرار الذى فى الراء بالانحراف الذى فى اللام مع اتحاد مخرج الصوتين فى اللثة. والمعنى أن سليمان فضل رؤية الخيل والاستمتاع بالنظر إليها عن التفرغ لذكر ربه. يقول المفسرون إن المقصود بقوله تعالى: «حتى توارت بالحجاب» هو الشمس لأن الخيل عرضت عليه بالعشى قبل العزوب. والذى يظهر لى أن التى

توارت هى الخيل وأن ما قصد سليمان إلى لوم نفسه عليه هو أنه لم يكتف برؤية بعض الخيل دون بعض. وإنما بقى فى مكانه يستمتع بمنظرها ولا يذهب لمباشرة ذكر الله حتى رأى آخر واحد من الخيل المعروضة عليه. فلما توارات قال: «ردوها علىّ». وواضح أن الضمير فى «ردوها» للخيل لا للشمس لأن الشمس لا يمكن ردها.

وقد يكون من أسلوب الفواصل القرآنية أن يستبدل صوت بصوت لاعلاقة بينهما من حيث المخرج أو الصفة. قال تعالى: ﴿ **فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** ﴾ (طه ١٢) وقال تعالى: ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾ (مريم ٥٢). فاسم الطور فيما يبدو يطلق على منطقة ينسب إليها الجبلُ وجانبُه الذى هو الوادى المقدس. وكما يعرف الجبل باسم الطور يعرف الوادى أيضا فكأن مقصد الكلام: فانك بالوادى المقدس الذى هو الطور ليكون الطور بدلا من الوادى المقدس. جاءت مناسبة الفاصلة لتستبدل الألف بالراء وتفتح الواو لهذا السبب، ذلك أن «طوى» هو جانب الطور الأيمن المذكور فى سورة مريم. والأيمن الأعظم يُمنًا وبركة وليس المقصود ضد الأيسر. فهذا الوادى كان مقدسا فى سورة طه وميمونا فى سورة مريم.

وقد يكون من مناسبة الفاصلة أيضا أن تزاد الأصوات فى الكلمة. قال تعالى: ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ** ﴾ (التين ١ ـ ٣). وقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٢٩) سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ** ﴾ (الصافات ١٢٣ ـ ١٣٠) فقد تحول الاسم لمناسبة الفاصلة من «إلياس» فى الآية (١٢٣) إلى «إلياسين» فى الآية (١٣٠) كما تحول اسم سيناء فى سورة التين إلى «سينين» لمناسبة الفاصلة ولاشك أمر مناسبة الفواصل قضية أسلوبية تنتمى إلى المعانى الطبيعية ذات الارتباط بالتأثير ولاعلاقة لها بالمعانى العرفية ولا العقلية.

ذلك بأن الأصوات ذاتُ تأثير فى الأسماع تكون به موحية حينا وغير موحية حينا آخر كما يحكم السمع عليها بالجمال أو القبح. والمعروف أن بعض المتكلمين ذوو أصوات محببة إلى السمع وأن بعضهم ذوو أصوات منفّرة ولا علاقة لذلك بمضمون ما يقولون. ولقد أورد النص القرآنى من الظواهر الأسلوبية التى تدور حول الأصوات وإيحاءاتها عددا من الصياغات اللفظية التى أشرنا إليها تحت عنوان. «القيم الصوتية فى القرآن الكريم وأثرها فى المعنى» ومن ذلك: فكبكبوا فيها ـ اثاقلتم إلى الأرض ـ أمَّن لا يهدّى ـ وهم يصطرخون ـ قسمة صنيزى ـ طوبى لهم ـ والأرض وما طحاها ـ من شجر من زقوم ـ غسلين ـ سلبيل ـ غساق ـ سِجيّن ـ عليين ـ تسنيم ـ ضريع ـ وكل أولئك صياغات صوتية أريد بها التأثير الأسلوبى وبعضها صياغات لم تعرف من قبل مما يدل على أهمية المقاصد الأسلوبية وبخاصة بالنسبة للاعتبارات الصوتية التى يعز على العرف والعقل تحديد سبب تأثيرها على السامع. هذا هو الجانب الصوتى من الإبداع الأسلوبى.

وثمة جانب آخر هو الجانب الصرفى الذى يمكن الترخص فيه لأسباب أسلوبية من خلال الصبغ غير القياسية وغير المستعملة. فمن ذلك مثلا:

* قال تعالى: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَاب ﴾ (ص ٥). فالصيغة القياسية هى «عجيب» ولكنها جاءت على صورة عجاب لأحد سببين أو لكليهما: السبب الأول رعاية الفاصلة وهذا سبب أسلوبى كما تقدم، والسبب الثانى أن صيغة فعُـال مـن صبغ الأدواء مثـل داء الصداع والزحار فلربما أراد القائلون الإيحاء بأن ما جاء به النبى من الأمر بالتوحيد كان مكروها عند المشركين كراهية الداء.

* قال تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ (النبأ ٢٨). المعروف أن مصدر «كذّب» هو التكذيب ونسب صاحب البحر المحيط «كذابا» إلى لغة اليمن وأورد فى ضبطها روايات متعددة. غير أن الملاحظ أننا نجد صيغة مصدرية هى «فعِّيل» مازالت مستعملة فى بعض اللهجات فى صعيد مصر بوصفها مصدرا لصبغة «فَعَّل». فالناس يقولون

كسَّره كسِّير وجرّحه جرّيح وقلَّبه قلِّيب والمعنى الصرفى لهذه الصيغة هو المبالغة. فمن المحتمل أن تكون صيغة «فِعِّيل» من الصيغ المهجورة ويكون لفظ (كِذَّاباً) ترخصا فى صيغة «فِعَّيل» لرعاية الفاصلة أى لغرض أسلوبى غير قياسى.

* قال تعالى: ﴿ **وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ** ﴾ (الواقعة ٤١ ـ ٤٤) أول ما يواجهنا فى هذا الشاهد تركيب تعجبى غير قياسى ولكنه يتكرر كثيرا فى القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿ **مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ** ﴾ لأن معناه: ما أشد معاناة أصحاب الشِّمال وهو تعجبى أيضا فى ما أصحاب اليمين» «ما الحاقة». «ما القارعة» وتكتمل أركان الجملة فى «وما أدراك ما الحاقة» «وما أدراك ما سقر»، «وما أدراك ما يوم الفصل»، «وما أدراك ما سجين»، «وما أدراك ما العقبة»، «وما أدراك ما ليلة القدر» «وما أدراك ما القارعة»، «وما أدراك ما الحطمة» فالمعنى فى كل ذلك «ما أعظم درايتك». والأمر الثانى صيغة «يَفْعول» من الحميم وهى مؤشر أسلوبى جاء بعد عطف الحميم على السموم تأكيدا لما فى السموم من الحر فلما ذكر الظل لم يشأ أن يجعله للحماية من الحميم حتى جعل مادته التى هو منها حميما مبالغا فى حرارته لأنه «يَفْعول» بحسب الصيغة وحروفه أكثر من حروف الحميم.

٢ ـ مستوى المفردات:

وكذلك تكون المفردات المعجمية مؤشرات أسلوبية من حيث مناسبة إحداها دون أخرى بمعناها لسياق معين فيتم اختيارها دون الأخرى. أو من حيث اتحاد صورة الكلمتين واختلاف معناهما أو بغير ذلك من الوسائل. فمن النوع الأول الذى يعتمد على الاختيار ما يلى:

* قال تعالى فى الكلام عن زكريا: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ﴾ (آل عمران ٤٠). وقال فيشأن مريم: ﴿ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ** ﴾ (آل عمران ٤٧). فانظر إلى استعمال الفعل «يفعل» فى حالة زكريا

واستعمال الفعل «يخلق» فى حالة مريم وما يترتب على ذلك من الملاحظات. أما بالنسبة لزكريا فالبشارة له وقد أصلح الله له زوجه (لاحظ لفظ «له») فالفعل السببى لزكريا والذى لله هو فعل الخلق فاستعمال الفعل «يفعل» وإسناده إلى الضمير الراجع إلى الله تعالى لا يثير لدى السامع أى معنى كالذى يثيره هذا الفعل لو أنه استعمل فى حالة مريم لأن استعمال «يفعل» فى معرض الكلام عن أى أنثى قد يثير معنى غير مستحب. ولو أن الفعل «يفعل» استعمل فى حالة مريم لكان فى ذلك إيهاما يوجاهة قول من يزعمون أن عيسى أبن الله. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

* قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ (يوسف ٢٣) كان يوسف عليه السلام مِلْكاً لزوج هذه المرأة. فكان من طبائع الأمور أن يناديها «ياسيدتى» ولكن الذى يحول دون ذلك فى الأسلوب القرآنى أمران: الأول أن يوسف كان مؤهلا أن يكون نبيا فى المستقبل القريب ومن ثم كان من غير المستحب أن يقال: وراودته سيدته عن نفسه. والثانى أن هذه المرأة لم تحافظ على وقار السيادة إذ عرضت نفسها على رجل من رقيق زوجها أصغر منها سنا بعد أن وصاها زوجها بإكرام مثواه ليكون كالولد لهما. ومن هنا كان أصدق تعبير عن علاقة يوسف بهذه المرأة أنه كان فى بينها.

* قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ (الأعراف ١٤٤). المعنى: فضلتك على الناس بقرينة حرف الجره «على» مع خلو الاصطفاء من معنى المقارنة. ولكن استعمال الفعل «اصطفيتك» يحقق عرضين أسلوبيين: الأول أن الاصطفاء أبلغ فى التقريب والتكريم من مجرد التفضيل لأن الذى يفضل أحد الشيئين لا يَلْزم أن يختص نفسه بأحدهما فقد يفضل امرأ القيس على طرفة فلا يقال عندئذ إنه اصطفاه. الثانى أن صيغة «افتعل» تفيد من المبالغة أكثر مما تفيده صيغة «فَعَّل» ولا سيما مع قلب تاء افتعل إلى طاء مفخمة كما سبق أن ذكرنا مع دال «طحاها»، وإن كان هذا القلب قياسا مطروا فى حالته الحاضرة.

* قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور ٦٣) أى يتوانون عن أمره.

وقد تتحد صورة الكلمتين ويختلف معناهما فتصلحان للمشاكلة أو الجناس أو التورية لأغراض أسلوبية معنية كالذى تراه فى الشواهد التالية.

* قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف ٢٦). فقوله «لباسا» فى الحالة الأولى يقصد به الملابس بقرينة قوله «يوارى سوءاتكم» أما فى الحالة الثانية فالمقصود هو مصدر لابس يلابس لباسا وملابسة أى لازم يلازم لزاما وملازمة والقرينة أن التقوى لاتختص بملابس معينة، ومن ثم يكون المعنى: وملازمة التقوى أفضل.

* قال تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾ (الشورى ١١) فالأزواج الأولى هن الحلائل بقرينة قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (الروم ٢١) والثانية معناها الأنواع لأن الانعام تتناسل ولا تتزاوج بمعنى أن أنثى الأنعام لاتلزم ذكرا واحدا منها ويؤيد معنى «الأنواع» هذا عدد من الآيات القرآنية مثل:

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ (الشورى ٥٠) أى ينوعهم

﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (التكوير ٧) أى صنفت أصنافا

﴿ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج ٥) أى من كل صنف

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (الشعراء ٧) أى من كل صنف

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (لقمان ١٠) أى من كل صنف

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (ق ٧) أى من كل صنف

﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (الرحمن ٥٢) أى من كل فاكهة صنفان

﴿ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ (الرعد ٣) أى صنفين

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ ﴾ (يس ٣٦) أى الأصناف كلها

﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ (ص ٥٧، ٥٨) أى أصناف

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ (طه ٥٣) أى أصناف

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴾ (الواقعة ٧) أى كنتم أصنافا ثلاثة.

* قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (الروم٥٥). الساعة الأولى القيامة والساعة الثانية فترة زمنية قصيرة.

* قال تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام ١) وقال جل شأنه ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٩) فقوله «يعدلون» فى الحالة الأولى معناه يتخذون عديلا له يعبدونه من دونه وفى الثانية بمعنى يقسطون.

* قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (يونس ٧٩). وقال سبحانه ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف ١٠٩). فالعليم فى الآية الأولى هو الغزير العلم والمعرفة والعليم فى الثانية الكثير الكلام بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان» (أخرجه أحمد فى المسند ١/ ٢٢، ٤٤ والبزاز فى مسنده كما فى كشف الأستار برقم ١٦٨، ١٦٩). إذ لا يعقل أن يصف الملأ موسى بكثرة العلم والمعرفة ففى ذلك مدحه والأعجاب به.

* قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (النحل ٧٠) المعنى المقصود هو: ومنكم من

يبقى حتى يبلغ أرذل العمر. والمراد بأرذل العمر تلك السن التى يصبح الإنسان فيها عاجزًا خرِفا ضعيف الفكر قليل المهابة وهذه صفات لا تبعد كثيرا عن صفات الطفولة. فالطفل عاجز ضعيف الفكر قليل المهابة أيضا ومن هنا جاء الفعل «يُرَدّ» ليشير إلى أن الشيخوخة هى الطفولة الثانية ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾ (الروم ٥٤). وهكذا حل «يُرَدّ» محل «يَبْقى» لأن فيه هذا الجانب من المعنى وقد خلا منه «يبقى».

* قال تعالى: ﴿ **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** ﴾ (العنكبوت ٤١). فضلت الآية الفعل «اتخذت» على الفعل «بنت» لسببين: الأول أن مجرد البناء لبس مقصودا وإنما المقصود هو الركون إلى هذا البيت واتخاذه ملجأ ومهربا ومعتصما وهذا المعنى يعبِّر عنه الفعل «اتخذت» ولا يفى به الفعل «بنت». والثانى إرادة المشاكلة اللفظية بين «اتخذوا» و«اتخذت» وهى تعين على فهم المقابلة بين طرفين يلجأ كل منهما إلى ملجأ ضعيف لايحميه.

* قال تعالى: ﴿ **أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا** ﴾ (مريم ٧٧ ـ ٨٠). عبرت الآية عن دعوى هذا الكافر حتمية إتيانه المال والولد بعبارة «مايقول» مرتين: أولاهما «سنكتب ما يقول» والثانية «ونرثه ما يقول». وقد جاء هذا التعبير اختصارًا للقول من جهة واستهانة به من جهة أخرى. ويتحقق أحد هذين الغرضين أو كلاهما فى مواقف مشابهة فى كثير من آيات القرآن الكريم قصد فيها الإشارة لقول ما مثل:

﴿ **كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ** ﴾ (البقرة ١١٣).

﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ (البقرة ١١٨).

﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ (آل عمران ١٨١).

﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ (آل عمران ١٨٣).

﴿ لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء ٤٣).

﴿ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُول ﴾ (أى هى) (النساء ٨١).

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ (المائدة ٦٤).

﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة ٧٣). ﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَار ﴾ (المائدة ٨٥).

﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ (المائدة ١١٦).

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ (الأنعام ٣٣) الذى مصدرية أى «قولهم»

﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ (الأنفال ٣١).

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ (التوبة ٧٤).

﴿ وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (يونس ٦٥).

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ ﴾ (هود ٩١).

﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيل ﴾ (يوسف ٦٦).

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (الحجر ٩٧).

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً ﴾ (الإسراء ٤٣).

﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (طه ٢٧، ٢٨).

﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (طه ٩٤).

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ (طه ١٣٠).

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ (المؤمنون ٨١).

﴿ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ (النور ٢٦).

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ (النمل ١٩).

﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (القصص ٢٨).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ﴾ (الأحزاب٦٩). ﴿ فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (يس ٧٦).

﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ﴾ (ص ١٧).

﴿ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر ٥٠).

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُم ﴾ (غافر ٤٤).

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ (ق ٣٩).

﴿ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (الذاريات ٣٠).

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ (ق ٤٥).

﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ (المنافقون ٤).

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا ﴾ (المزمل ١٠).

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ (الممتحنة ١٣). والذين يئسوا من الآخرة هم الكفار من منكرى البعث والذين يئسوا من أصحاب القبورهم الذين يلحدونهم

فى قبورهم وهم كفار بمعنى أنهم يكفرون أجسام الموتى فى الأرض بقرينة قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ (الحديد ٢٠) فالكفار هنا هم الزراع الذين يكفرون الحب ويرجون الثمار من الرب كما قال عمرو بن العاص. فالتشبيه هنا لقوم يئسوا من البعث وعودة الحياة فى الآخرة بقوم آخرين يئسوا من عودة الحياة الدنيا إلى الموتى أصحاب القبور الذين دفنهم هؤلاء الكفار بأيديهم. والذى يلفت النظر هنا هو استعمال كلمة «كفار» بدلا من «لاحدين»، لأن فى الأمر شبها معقودا بين فريقين كلاهما كافر وإن اختلف معنى اللفظ من هنا تبدو الصورة كما لو كانت ثمة مشاكلة شبيهة بما فى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (الروم ٥٥) غير أن أحد الطرفين فى آية الممتحنة التى بين أيدينا مفهوم والآخر مذكور والمذكور منهما يومئ إلى المفهوم بمعونة قوله تعالى: «غضب الله عليهم» وقوله «قد يئسوا من الآخرة». ومعنى ذلك أن هناك مضافا مقدرا فى الحالتين فالأولون يئسوا من بعث الآخرة والآخرون يئسوا من عودة أصحاب القبور إلى الحياة الدنيا.

٣ ـ مستوى التراكيب

عند هذه النقطة ننتقل من دلالات المفردات المعجمية إلى دلالة التراكيب النحوية. والمعروف أن النحاة قصدوا بقواعدهم أن تكون مطردة وأن تكون مطابقة لأصول جردوها بواسطة ملاحظة المسموع من كلام العرب وبواسطة أقيسه على هذا المسموع يقيسون بها مالم يسمع. ولقد أرادوا للاطراد والقياس أن يكونا سمة من سمات النحو، ولكن الفصحى أوسع ساحة من أن تخضع للاطراد أو القياس خضوعا تاما. ومن هنا رأينا فى اللغة مخالفة لشروط الاطراد والقياس تتمثل فى مجالين أسلوبيين يتحديان الاطراد والقياس ولم يكن للنحاة مناص من قبولهما ومنحهما ما يستحقان من احترام. هذان هما **الأساليب العدولية والترخص فى قرائن المعنى** عند أمن اللبس. ولقد سبق لنا أن درسنا هاتين الظاهرتين فكانت دراسة الترخص فى الفصل الثامن من الجزء الأول من هذا الكتاب وكانت دراسة الأساليب العدولية فى الفصل الثالث من الجزء الثانى. وأود أن أضيف هنا بعض الملاحظات التى تتناول اشتراط النحاة قبول الترخص بأمن اللبس. ومناط ذلك مبدأ تضافر القرائن إذ لا يمكن أن

يعتمد باب من أبواب النحو على قرينة مفردة فلو نظرنا مثلا إلى القرائن التى يعرف بها المفعول المطلق المؤكد لفعله لوجدناها الاسمية والشركة فى أصل الاشتقاق والنصب والتأخر عن الفعل فإذا كان بعض هذه القرائن كافيا للدلالة على المفعول المطلق أمكن الترخص فى البعض الآخر كالشركة فى أصل الاشتقاق مثلا إذ ينوب عن المفعول المطلق المؤكد لفعله مصدر آخر نحو جرى هرولة أو كل وبعض نحو ﴿ **فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ** ﴾ (النساء ١٢٩) ونحو ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ** ﴾ (الحاقة ٤٤). والواقع أن النحاة اشترطوا لذلك أمن اللبس، ويكفى لاختصار القول فى ذلك أن نأتى بأبيان من ألفية ابن مالك يشترط فيها للترخص فى القاعدة أن يؤمن اللبس مثل:

ولا يجوز الابتدا بالنكرة **(مالم تفد)** كعند زيد ثمرة
والأصل فى الأخبار أن تؤخرا وجوزوا التقديم **(إذ لا ضررا)**
ونحو عندى درهم ولى وطر ملتزم فيه (تقدم الخبر)
وخبر المحصور **(قدم أيدا)** كما لنا إلا تباع أحمدا
و**(حذف ما يعلم)** جائز كما تقول زيد بعد من عند كما
وفى جواب كيف زيد قل دنف فزيد **(استغنى عنه إذ عرف)**
وفى جميعها **(توسط الخبر** **أجز)** وكل سبقه دام حظر
وقد **(تزاد كان فى حشو)** كما كان أصح علم من تقدما
بعد عسى اخلولق أوشك قديرد **(غنى بأن يفعل عن ثان فقد)**
وربما أستغنى عنها **(إن بدا** **ما ناطق أراده)** معتمدا
وشاع فى ذا الباب إسقاط الخبر **(إذا المراد مع سقوطة ظهر)**
(ولا تجز هنا بلا دليل) سقوط مفعولين أو مفعول
(وكتظن اجعل تقول) أن ولى مستفهما به ولم ينفصل
بغير ظرف أو كظرف أو عمل **(وإن ببعض ذى فصلت يحتمل)**
وقدر يبيح الفصل ترك التاء) فى نحو أتى القاضى نبت الواقف

(والحذف) فى نعم الفتاة استحنوا (لأن قصد الجنس فيه بين)

والحذف (قد يأتى بلا فصل) ومع ضمير ذى المجاز فى شعر وقع

(وقد يجاء بخلاف الأصل) وقد يجى المفعول قبل الفعل

(وأخر المفعول إن لبس حُذِر) أو أضمر الفاعل غير منحصر

وما بالإ أو بإنما انحصر أخر **(وقد يسبق أن قصد ظهر)**

نقلا وفى أن وأن يطرد **(مع أمن لبس)** كعجبت أن يدوا

ويلزم الأصل لموجب عرا **(وترك هذا الأصل حتما قديرى)**

وقد ينوب عنه **(ماعليه دل)** كجد كل الجد وافرح الجذل

(وإن بشكل خيف لبس يجتنب) وما لباع قديرى لنحو حب

وليس هذا كل ما فى ألفية ابن مالك مما يدل على جواز الترخص عند أمن اللبس أما عند خوف اللبس فالالتزام بالقاعدة عندهم أمر حتمى فلا حذف مثلا إلا بدليل:

(ولا تجز هنا بلا دليل) سقوط مفعولين أو مفعول

لأن الدليل قرينة المعنى المراد وبدونه يكون المعنى معرضا للالتباس «وإن بشكل خيف لبس يجتنب».

وجاء القول فى الأساليب العدولية فى الفصل الثالث من الجزء الثانى من هذا الكتاب.

ومعنى العدولية أن هذه الأساليب معدول بها عن أصل الاستعمال فى عرف النحاة ولكن النحاة على رغم ذلك يقبلونها ويرفعون درجتها فى الاستعمال إلى مستوى التراكيب القياسية ويبوبون لها ويمنحونها المصطلحات الدالة عليها على عكس نظرتهم إلى الترخص الذى يضطرون إلى تبريره. فمن المصطلحات العدولية الحكاية - النقل - التضمين - النيابة - التقديم والتأخير - الالتفات - التغليب - اختلاف النظرة الأسلوبية تذكيرًا وتأنيثا - الحذف - اللف والنشر المرتب والمشوش - الزيادة - الاعتراض - الفصل - تجاهل الاختصاص - تجاهل المناسبة المعجمية (المجاز) - وحدة

الضمير الراجع إلى مراجع متبانية إلخ. والنحاة يهشون لكل ذلك لأنه من جملة المسموع الذى لا يمكن رفضه ولا وَصْمه بالندرة أو الشذوذ أو القلة لكثرته وشيوعه.

وفى التركيب ظواهر أخرى غير الترخص والعدول عن الأصل منها ظاهرة **الاختيارات الفردية** لطريقة التركيب لأسباب لدى منشئ النص. ويمكن بيان ذلك فى الشواهد التالية:

* قال تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ (يونس ١٦) موضع الشاهد قوله «ولا أدراكم» حيث جاء النفى بواسطة «لا» ولم يأت بواسطة «ما» التى نفيت بها الجملة السابقة «ما تلوته عليكم». وواضح أن اختيار «لا» دون «ما» يأتى لسببين: الأول أن تكرار «ما» وإدخالها على لفظ على وزن أفعل وهو لفظ «أَدْرَى» يوهم التعجب من درايتهم به ومن ثم يتسرب اللبس إلى الكلام وهو مرفوض. والثانى أنك إذا أردت أن تنفى حدثين ليس بينهما ارتباط فى الوقوع نفيت كلا منهما بلفظ «ما» كما فى قوله تعالى: ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ (النساء ١٥٧) فقد اختلفوا فى أى الحدثين هو الذى وقع. وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ (البقرة ٩) فكل حدث منفى لذاته وليس مترتبا على الآخر. أما فى الشاهد السابق فالتلاوة والدراية كلناهما مرتبطة بأمر واحد هو مشيئة الله. وإذا كان ارتباط الحدثين منصبا على أمر واحد فإن نفى الثانى منهما يكون بواسطة «لا» سواء كان نفى الأول بـ «ما» أو بـ «لا» كما فى هذا الشاهد الأول وكما فى قوله تعالى: ﴿ **فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾ (القيامة ٣١ ـ ٣٢). وقوله جل شأنه: ﴿ **ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ (التوبة ١٢٦).

* قال تعالى: ﴿ **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ (التوبة ٧٧). جر المصدر المؤول الأول بالباء (بما اخلفوا أى بسبب إخلافهم) وكان يمكن أن يعطف عليه المصدر المؤول الثانى (بما كانوا =

بسبب كونهم) بدون الباء ولو عطف بدون الباء لا لتبس بالنفى لأن العبارة ستصبح: وما كانوا يكذبون. ومن هنا كانت الباء الثانية وسيلة أسلوبية ضرورية لحفظ المعنى.

* قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف ١٣٢). كان يمكن للتركيب من الناحية النحوية أن يكون: (وقالوا مهما تأتنا بآية لتسحرنا بها) ولكن الصورة فى سياق الآية مختلفة. وتفسير ذلك أن فى تكرار الضمير وإن اختلف تذكيرا وتأنيثا شيئًا من التأكيد لأن اختلاف الضمير جاء فى الصورة لا فى المدلول. فالنحاة يقولون إن مهما مركبة من ما + ما ثم تحولت أولاهما إلى (مه). ولو نظرنا فى (ما) الثانية لعرفنا أنها هى الشرطية التى إما أن تأتى منفردة مثل: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ (المزمل ٢٠) والأولى التى تحولت إلى (مه) هى الموصولة التى يعود عليها الضمير فى (به). ودليل ذلك صحة دخول (ما) الشرطية على الظروف ونحوها لتفيد تعميم ما دخلت عليه وتشر به معنى الشرط نحو إذما ـ حيثما ـ أينما ـ أيًّا ـ كلما ـ متى ما إلخ. أما فى قلّما وطالما وعندما إلخ فهى مصدرية لاشرطية ـ وأما صحة عود الضمير عليها فلان (ما) هذه منقولة عن الموصولية ومعها شرط عود الضمير عليها. والضمير فى (بها) يعود على «آية». والاختيار الأسلوبى هنا جاء فى صورة العزوف عن الصورة الأخرى الممكنة التى سبقت الإشارة إليها للوصول إلى التأكيد، لأن (ما) المحمولة عن الموصولية لإفادة الشرط تشير من حيث المعنى إلى مضمون لفظ (آية) ولا ضرر فى اختلاف الضميرين تذكيرا وتأنيثا.

* قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ﴾ (غافر ٥٨). التركيب القياسى لهذا السياق اللفظى أن يكون: وما يستوى الأعمى والبصير ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسىء. ولكن المؤشر الأسلوبى إذ يكون القارئ عند ختام الآية أقرب عهدا بنفى التسوية بين المؤمن والمسىء وفى ذلك ما يحبب فى الإيمان ويبغض فى الإساءة.

* قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ ﴾ (فاطر ١٩ ـ ٢٢). هنا نجد المؤشر الأسلوبى هو تكرار (لا) مع كل من الطرفين المتقابلين مما يوحى بالتوكيد بطريقة غير الطريقة السابقة هى الإلحاح على النفى بتكرار الأداة فى مواقع زيادتها.

* قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ (هود ٢٤) إذا أردت أن تعطف بعض الأفراد على بعض لزمك أن تذكر حرف العطف فأنت لا تقول جاء زيد عمرو وأنت تنوى «زيد وعمرو». أما إذا أردت عطف الصفات فأنت بالخيار أن تقول جاء زيد الكاتب الشاعر أو الكاتب والشاعر. هذا من الناحية النحوية. ولكن كلا من الخيارين يستند إى مبرر أسلوبى يراه منشىء النص ولا تحكمه قاعدة. والذى دعا إلى عطف الصمم على العمى وعطف السمع على البصر هو إرادة تمكن الصفات من كل من الفريقين. ويلاحظ هنا أن الذى حال دون فهم دلالة كل صفة من الصفات الأربع على فرد خاص ليصبح الأفراد أربعة هو لفظ «الفريقين» فى أوّل الآية و«هل يستويان» فى آخرها فدل ذلك على أن المراد شخصان أحدهما أعمى أصم والآخر بصير سميع. وهكذا تحول القرينتان المذكورتان دون التباس المعنى.

هنا نتجاوز الصحة إلى الجمال فنشير إلى أن الجمال يظهر من خلال التصوير إما من خلال المجاز وإما من طريق التخييل. فالمجاز نقل المعنى عن أصل دلالته والتجاوز به إلى دلالة أخرى لعلاقة بين الأصل والفرع فإذا كان المجاز استعارة كان بحاجة إلى قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى.

أما مع الكتابة فلاحاجة إلى قرينة ومعنى أن المجاز ظاهرة أسلوبية هى أنه إذا كان المعنى الأصلى عرفيا فإن المعنى المجازى فردى فالناس جميعا يتفقون على المعنى الأصلى للفظ وهذا معنى أنه عرفى عام وإذا كان المعنى الأصلى ينتمى إلى خطاب طائفة معينة فهو عرف خاص. أما المجاز فهو استعمال فردى ومن ثم كان مؤشرًا أسلوبيا. والسؤال الآن عن طبيعة ارتباط المجاز بالجمال الأسلوبى أى لماذا كان المجاز فى الأسلوب ظاهرة جمالية. والجواب أن الجمال يأتى من جعل اللغة وسيلة من وسائل التصوير من خلال علاقة المشابهة (وهى فنية) أو العلاقات العقلية كما فى

المجاز المرسل أو لازم المعنى كما فى الكناية والتورية. فعلاقة المشابهة تحملنا من الأصل إلى صورة أكثر تعبيرا عن وجه الشبه. والعلاقة العقلية تقفز بنا فى عكس الاتجاه من الصورة إلى الأصل ولازم المعنى فى كل ذلك مزيج من المفاجأة والانطباع والاستجابة الوجدانية لهما وقد تختزن الاستجابة ثم تستدعى بالمنسابة. دعنا بعد ذلك ننظر فى بعض المجازات القرآنية لنكشف عما يعن لنا من جوانب الجمال فيها:

* قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ (المؤمنون ٢٧).

* وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (الطور ٤٨).

* وقال تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ (القمر ١٤).

فى الآية الأولى لقى نوح من قومه الجحود والاتهام إما بأنه يريد أن يضع نفسه موضع التفوق على قومه بأن يتفضل عليهم أى بأن يكون أفضل منهم وإما بأن به جنة ومن هنا طلب نوح إلى ربه أن ينصره فكان نصر الله إياه بالطوفان. ولم يكن نوح نجارًا حتى يطمئن إلى قدراته الشخصية فى صناعة السفينة ولذا وعده الله سبحانه أن يكون عمله فى رعايته وإرشاده فعبَّر عن الرعاية بالأعين وعن الإرشاد بالوحى. ولا شك أن الصورة التى يدركها المرء عند قراءة «بأعيننا ووحينا» تحمل من الجمال ملا يحمله قولنا «برعايتنا وإرشادنا».

وفى الثانية أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالصبر لحكم ربه ثم لم يكله إلى نفسه لأن مجرد الصبر أمر صعب الاحتمال فكان لابد من التشجيع على تحمله وليس هنا من تشجيع أفضل من تمتع الصابر برعاية الله له رعايةً يصل بها إلى نجاح المقصد.

أما فى الآية الثالثة فقد كان جرت السفنية برعاية الله تعالى.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق ٣٧). القلب هنا حتى فى لغة الحاضر مبعث الإدراك العقلى ويسمى

أيضا الفؤاد ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء ٣٦) فالمقصود بمن له قلب من له طاقة الفهم وصواب الحكم ففى ذلك مجاز مرسل علاقته المحلية. وأما قوله أو ألقى السمع فهو استعارة تبعية تجعل السمع فى استيعابه للتذكير وسيلة صيد للنصائح كما تلقى الشبكة فى الماء لتصطاد السمك. ومعروف أن بين السمع والالقاء بمعناه الأصلى مفارقة معجمية تجعلنا ننتقل بالمعنى من أصله وهو إرهاف السمع إلى الفرع وهو إلقاء السمع بعلاقة الرغبة فى الوصول إلى حيازة شىء ما مع جعل المفارقة المعجمية قرينة على عدم إرادة المعنى الأصلى للإلقاء. من هذه المفارقة يأتى عنصر المفاجأة ومن الصورة المترتبة على الاستعارة يأتى الانطباع وبهمأ تأتى الاستجابة الوجدانية التى تستدعيها الصورة الجديدة لإرهاف السمع.

* قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات ٥٠). الفرار هرب من شىء مخوف، وهو هنا العذاب. فقد سلط الله عذابه على قوم لوط ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ (الذاريات ٣٧) وعلى فرعون وجنوده ﴿ وَفَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (الذاريات ٤٠) وعلى قوم عاد ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢) ﴾ (الذاريات ٤١ ـ ٤٢). وعلى ثمود ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ (٤٥) ﴾ (الذاريات ٤٣ ـ ٤٥) وعلى قوم نوح ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (الالذاريات ٤٦). فلا غرو أن تأتي النصيحة لكفار قريش بالهرب من هذا المصير ثم لا يكون هذا الهرب إلا إلى الله بمعنى الإيمان به وإسلام الوجه له. وهكذا يكون المعنى المقصود بالفرار إلى الله الإيمان بالله مع إعطاء الإيمان صورة الفرار من خطر إلى مأمن، ولو دخلنا إلى فهم الآية من مدخل الفعل «فروا» لوجدناها استعارة تبعية أى أسرعوا بالايمان، ولو دخلنا إليها من مدخل لفظ الجلالة لوجدنا أن الذى قصد به هو الإيمان ولوجدناها تصريحية. فانظر إلى جملة ذات مدخلين كل منهما استعارة.

* قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفتح ٢٤). المكفوف هنا هم أصحاب الأيدى وليس الأيدىَ ذاتها. وإنما ذكرت الأيدى ولم يذكَر أصحابها لأن الأيدى وسيلة لبطش وحاملة السلاح والممسكة بالأسرى وجامعة الأسلاب ومن ثم اتصلت الصورة بالأيدى لتكون العبارة من قبيل المجاز المرسل الذى علاقته الجزئية وبها يدور الوهم والانطباع حول الأيدى بالنيابة عن أصحابها.

* قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ (الكهف ٤٢). كان للرجل جنتان فتعالى بهما على صاحبه حتى بلغ مرحلة الكفر بالذى خلقه وتواضع صاحبه وأظهر التوكل على الله وساق إليه التحضيض أنه كان ينبغى له أن يقول عند دخول جنته «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» ثم رجا أن يعطية الله خيرا من جنة صاحبه ويفسدَها بآفة تنزل عليها من السماء. وقد حدث هذا فلم يكن أمام صاحب الجنة إلا الندم. غير أن الآية لم تقل: فأصبح نادما وإنما قالت: «فأصبح يقلب كفية». وتلك حركة مألوفة من النادمين وبخاصة حين يكون الندم بسبب خسارة مادية. وشاعت هذه الحركة من النادمين حتى أصبحت بذاتها دالة على الندم حتى لو لم يعبر النادم عن ندمه بالكلام، أى أنها حركة نموذجية للندم. ومن هنا دلت على الندم عن طريق الكناية فالمعنى القريب تقليب اليدين والمعنى البعيد المراد هو الندم وهو كما رأينا لازم المعنى البعيد.

أما إذا كان المعنى البعيد غير لازم عن المعنى القريب فإنه يعبّر عنه بوضوح كما فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾ (التوبة ١٢٧) فالمعنى البعيد لهذه النظرة بخصوصها التساؤل عما إذا كان أحد يراهم عند الانصراف والتسلل ولكن هذا المعنى خاص بهذه النظرة كما سبق ولا يصلح لغيرها من النظرات أما الندم وتقليب اليدين فعلاقة اللزوم بينهما واضحة إذ يلزم عن التقليب الإحساس بالندم ولايلزم عن تلك النظرة ذلك السؤال بخصوصه

وإنما توصف العلاقة بين الجملتين بعلاقة التفسير وليس علاقة اللزوم أى أنا التساؤل يفسر النظرة.

أو مثله أيضاً: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ (الفرقان ٢٠) إذ كان «أتصبرون» بقليلا للفتة:

كان ذلك إنشاء الصورة بواسطة **المجاز** أما إنشاء الصورة بواسطة التخييل فهو شائع أيضا فى النص القرآنى وبخاصة فى السور المكية المتجهة إلى الدعوة وما فيها من ترغيب وترهيب وضرب مثل ووصف لمصارع العُصاة فى الدنيا ومشاهد الحساب فى الآخرة، أما السور المدنية فقد أضافت إلى ذلك اهتماما بالتشريع للمجتمع الإسلامى الذى بدت معالم صورته تظهر فى المدينة. والاستشهاد على هذه الظاهرة يقود مرة أخرى إلى صور الكفران والشكران وجها لوجه كما يصوّرهما مثل الرجلين اللذين جعل الله لأحدهما جنتين فكفر بنعمة الله وتعالى على صاحبه الذى أظهر الثقة بربه والشكر لنعمته. وقد ضرب الله هذا المثل لمشركى مكة الذين أنعم الله عليهم بالثروة ورواج التجارة مع البلاد المجاورة فى رحلة الشتاء ورحلة الصيف حتى كانت الرحلتان جنتين ذواتى ثمرات وأما المسلمون فهم الفقراء الشاكرون ذوو الثقة بالله والتوكل عليه والأمل أن يؤتيهم الله خيرا من جنة المشركين وكان أمرًا مفعولا. ويلاحظ فى كلام صاحب الجنتين أنه هو ما يقوله مشركو مكة فلم يكن يظن الساعة قائمة وكان يرى أى الأصنام تقر به إلى الله زلفى فإذا رُدّ إلى ربه وجد من فضله ما يفوق نعمة الجنتين. وفى كلام الشاكر لربه. إخلاصه الإيمان بالله والطمع فى رحمته وعدم الاشراك به ثم النصح والتذكير للغافلين من أمثال صاحب الجنتين. وتبدو النهاية حكاية لما ينتظر المشركين من إحباط أعمالهم وندمهم لما فرط منهم ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (الكهف ٤٢).

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ

وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(البقرة ٢٦٤ ـ ٢٦٥). هنا صورتان متقابلتان لنوعين من أصحاب الإنفاق: النوع الأول ينفق ليقول الناس فيه إنه رجل اليرو الإحسان ثم لا يهتم بعد ذلك برضوان الله ولا بثواب الآخرة فشأنه شأن مرتفع صخرى تغطيه تربة صالحة للزراعة وإنتاج الخيرات ولكنها تتعرض لمطر غزير يغسلها فيتعرى المرتفع الذى كانت عليه التربة ويصبح غير صالح للزراعة فالتربة هى الثروة وتأكلها هو الانفاق فى غير طائل والتعرية مجيء المنفق فى الآخرة وليس له حسنات ينتفع بها. وفى مقابل ذلك صورة أخرى لمن ينفقون ابتغاء مرضاة الله وتصديقا لوعده بالجزاء فهؤلاء كحديقة بربوة لاترفع عن الأرض إلا بمقدار ما يحول ارتفاعها دون تجمع الماء بها فلما نزل عليها المطر الغزير لم يُعَرِّها من خصوبتها فكان المطر سقيا ونماء لها فآتت ثمراتها بمقدار ضعفى ماجرت العادة عليه من قبل ثم إن إنتاجها مأمول دائما لأنها إن لم ينزل عليها المطر نزل عليها الطل مطرًا خفيفا أو ندى يتسرب فى عروق أشجارها فنزدهر الجنة وتؤتى أكلها ضعفين. وعناصر الصورة هنا جنة فى مكان آمن من عوادى الطبيعة منتفعة بعطائها وقد نزل المطر عليها فنمت وأزدهرت وأثمرت فكان ثمرها ضعفى ماسبق. فالمكان هو صدق الإيمان بالله والمطر رزق الله لهؤلاء العباد المتصدقين سواء بسطه لهم فكان كالوابل أو قَدَرَهُ عليهم فكان كالطل والأُكل المضاعف ثواب الآخرة إذ تكون الحسنة بعشر أمثالها. بقى أن نشير إلى قوله تعالى بالنسبة للصفوان: «فأصابه» بالفاء وبالنسبة للربوة: «أصابها» بدونها فالفرق بين الفعل فى الحالتين أنه جاء فى المرة الأولى بعد أن استوفى الصفوان نعته فكان مضمون الفعل هو الحدث الذى وقع للصفوان وأما فى المرة الثانية فإن الفعل جاء نعتا من نعوت الربوة فكان الحدث الذى لحقته الفاء فى هذه الحالة أن هذه الربوة آتت أكلها ضعفين وهو قوله «فآتت كلها ضعفين».

* قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ (الحشر ١١ ـ ١٧).

فى هذه المعادلة التمثيلية نجد المنافقين واليهود من بنى قريظة أولا فى كفة وفى الكفة الأخرى المشركون فى بدر وبنو قينقاع وهم الذين ذاقوا وبال أمرهم من قبلهم بقليل، ثم نجد الأولين فى كفة والشيطان والإنسان المخدوع فى كفة ثانية. وفى كلتا الحالتين وعد بالنصر وخذلان عند الشدة بشهادة الله عز من قائل فالمنافقون يعدون ويخذلون والشيطان يعد ويبرأ من ضحاياه زاعما الخوف من الله. فلقد وعد المنافقون بنى قريظة أنهم إذا أخرجهم المسلمون من مساكنهم فهم سيخرجون معهم وإذا قاتل المسلمون بنى قريظة فسوف ينصرونهم على المسلمين غير عابئين بما يقال. ويشهد الله سبحانه وتعالى على كذبهم فيما يدعون فلن يخرجوا مع المخرجين ولن يقاتلوا معهم ولو حاولوا ذلك لما استطاعوا الصمود ولولوا الأدبار هربا من بأس المسلمين لأنهم يخافون المسلمين أكثر مما يخافون الله. ولواجتمعت الفئتان لقتال المسملين ماوقع منهم القتال إلا أن يكونوا وراء ستار من حصن أو وراء جدار يحتمون به أضف إلى ذلك أن كلا من الفريقين لا يحرص على مساندة الآخر لما بينهم من الحقد الدفين فلو راقبتهم لحسبتهم متناصرين ولكنهم فى الواقع متفرقون. فالمنافقون كالشيطان وبنو قريظة كالإنسان الذى ينخدع بوعد الشيطان ثم يتبين فى اللحظة الأخيرة هول العاقبة. والذى يلفت الانتباه هنا فتنشأ عنه المكونات الثلاث: المفاجأة والانطباع والاستجابة هو الموقف غير المتوقع إذ يدعو الشيطان ضحيته إلى الكفر وعندما يطيع

الضحية دعوته يبرأ الشيطان منه بزعم الخوف من الله. هذه المقارنة تمثل المفاجأة وإطار الموقف يمثل الانطباع والإحساسُ بالجمال يمثل الاستجابة الوجدانية.

ننتقل الآن من صور الأمثال القرآنية إلى صور المشاهد فى الدار الآخرة. سواء فى يوم الحشر أم فى الجنة أم فى النار وستبدو كل صورة من هذه الصور عظيمة الترغيب أو شديدة الترهيب وهى على رغم تناول وصفها بمفردات لغوية مألوفة تبدو غير معهودة فى التجربة الإنسانية فى الحياة الدنيا. وهذا البون بين تجارب الإنسان فى الدنيا وهذه الصور الأخروية هو مبعث المفاجأة ومادة الانطباع ومثابة الاستجابة الوجدانية المؤدية إلى الاستجابة العملية بمخافة العذاب ورجاء الثواب. ولنا أن نلقى نظرة على الصور الآتية:

* قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾ (الحج ٢). والضمير فى «ترونها» لزلزلة الساعة. وإذا كان الناس فى الحياة الدنيا يذهلون عن سبل السلامة من الزلازل فيقذفون بأنفسهم من أعالى المبانى ظانين ذلك مهربا فيفرون بذلك من موت إلى موت فما بالك بزلزلة الساعة التى تعمل عملها فى النفوس حتى يكون ذهول المرضعة عن رضيعها واسقاط الحامل لحملها وذهول الرجال عن أنفسهم وتعطل قدرتهم على الحكم السليم على الأشياء حتى كأنهم سكارى ويكون كل ذلك خوفا من واقع رهيب هو جزء من عذاب الله.

ثم يأتى بعد الزلزلة يوم الحساب وفيه أهوال لا تقل عن سابقتها. ففى شأن ذلك اليوم:

* يقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ (عبس ٣٤ ـ ٣٧). هذا يوم الفزع الأكبر ﴿**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ** ﴾ (ق ٤٤). ﴿ **يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا** ﴾ (طه ١٠٢) ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا**

مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ ﴾ (النمل ٨٣ ـ ٨٥). ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل ٨٧ ـ ٩٠). هنا تختلف مصائر المخلوقات من إنس وجن فمنهم من يخلد فى النار فالله تعالى يقول لابليس: ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (ص ٨٥) ومنهم من يحشر إلى الجنة زمرًا ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر ٧٣). عندئذ يبرأ المجرمون كل من صاحبه ﴿ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ (غافر ٤٧ ـ ٥٠).

أما الجنة فعرضها السموات والأرض تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى والناس فيها صنفان: المقربون وأصحاب اليمين ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة ٨٨ ـ ٩١). وقال تأتى الجنة فى صورة المثنى كقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن ٤٦) إحداهما للإنس والأخرى للجن وهما هنا للسابقين المقربين من الفريقين ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾

(الرحمن ٦٢) وهاتان لأصحاب اليمين من كل منهما﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ (الأنعام ١٣٢). لأن جنتى المقربين تشتمل على ملذات أفضل مما تشتمل عليه جنتا أصحاب اليمين وقد شرحنا ذلك فى كلامنا عن سورة الرحمن من هذا العمل. كما تأتى الجنة فى صيغة الجمع كما فى قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة ٢٥). وقوله جل شأنه: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التوبة ٢١ ـ٢٢). وقوله سبحانه ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (فاطر ٣٣). وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ (الذاريات ١٥ ـ ١٦) وكذلك: ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (الصف ١٢).

وفى مقابل هذا النعيم المقيم يُلقى المشركون وما يعبدون من دون الله فى النار جهنم فيكونون حصبا لها ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (الأنبياء ٩٨) ﴿ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾ (الأنفال ٣٧) فيَصْلَى الجميع نارا حامية ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا

فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ (فصلت ١٩ ـ ٢٤). ويَلفت النظر هنا أمر شهادة الجلود. فمن الواضح أن الأعضاء التى تشهد عليهم يوم القيامة هى أعضاء الحس وأشهرها السموع والبصر اللذين طور الإنسان قدرتهما فاصبح السمع معززا بالموجات الكهرومغناطيسية ليسمع مايذاع من الإشارات من كل أجزاء المعمورة وكذلك عزز البصر ليرى أدق الكائنات بالميكروسكوب وأبعدها بالتلسكوب . فلماذا شهد الجلد ولم يجد مثل هذا التعزيز بالعلم؟ إن الجلد مركز حاسة اللمس فهو حاسة اليد الباطشة واليد السارقة واللامسة كل أنواع اللمس المحرم والجلد مصدر الإحساس باللذة عند الزنا إلخ فلا غرو أن تكون شهادة الجلد على هذا القدر من الأهمية وأن يتجة عتاب هؤلاء إلى الجلود لما أقدمت عليه من الشهادة وألا يتجه العتاب إلى السمع والبصر. فإذا ادخل المجرم إلى جهنم فإنه ﴿ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾ (طه٧٤) فإذا ﴿ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ (الزخرف٧٧) فهم ﴿ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ (فاطر٣٦) وبين الجنة والنار حاجز من﴿ سُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (الحديد١٣) وفى أعلى هذا السور أعراف كالتى نشاهدها على أسوار القلاع ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الأعراف ٤٦ ـ ٥٠).

هذه المشاهد الأخروية تصف أحداث القيامة والحساب ثم الثواب أو العقاب. ثم

تصف ما يدور بين أهل النار وبين أصحاب الجنة من حوار يبدو منه مقدار ما يعانيه المعذبون ومايلذ به المنعَّمون. والصور فى الحالتين منبع استجابة وجدانية من قبل القارئ الذى يعجب بنعم الجنة يغبط أهلها وينفر من عذاب النار ويأسى لأهلها ومع الغبطة والأسى يختار لنفسه أى السبيلين يسلك والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٥ ـ مستوى التناص:

ومن خصائص الأسلوب القرآنى ما يشير إليه القول المأثور «القرآن يفسر بعضه بعضا» وهو ما يتفق مع الدراسة الحديثة للنصوص من حيث مبدأ «التناص». فالمعروف من صور التناص أن التناص يقوم بين النص وترجمته أو محاكاته أو التعليق عليه أو شرحه أو نقده إلخ. فإذا كان التفسير شرحا للقرآن فبينه وبينه التناص وإذا أعانت آية على شرح (أى تفسير) آية أخرى فبين الآيتين تناص وإذا كان القرآن يفسر بعضه بعضا فبين بعضه وبعض تناص. سنرى فى كلامنا عن بنى اسرائيل فى القرآن الكريم كيف تضافر عدد من السور القرآنية على نسج هذا الموضوع منها البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس وهود ويوسف والإسراء والكهف ومريم وطه والشعراء والنمل والقصص ويس وغافر والدخان والحشر إذا اشتملت كل سورة من هذه السور على قدر من المعلومات المكمّلة لما اشتملت عليه السور الأخرى. ولو أننا أردنا مثلا أن نستخرج من النص القرآنى موضوعا كأحكام الأسرة لوجدنا ذلك فى عدد من السور منها البقرة والنساء والنور والأحزاب والمجادلة والممتحنة والطلاق. وكذلك الأمر فى الموضوعات الأخرى التى تمس القصص القرآنى أو التشريع الإسلامى أو آدابَ السلوك أو الأخلاقيات أو غيرَ ذلك من الأغراض وأنواع التوجيه.

٦ ـ مستوى الأسلوب:

ويسلمنا هذا إلى ناحية أخرى تتصل بالأسلوب القرآنى هى **أنواع الخطاب فى** القرآن الكريم. وأقصد بالخطاب الطريقة الأسلوبية التى تتصل بإطار تعبيرى معين. ولإيضاح ذلك نشير إلى ما اصطنعه نقاد الشعر العربى من السلف من تقسيم الشعر بحسب أغراضه من مدح أو رثاء أو غزل أو هجاء أو وصف إلخ وقيدوا لكل غرض

من هذه الأغراض طرائق تعبيرية معينة، فَفَصَلُوا بذلك بين أسلوب المدح والرثاء مثلا وإن كان كلاهما فى حقيقته مدحا وإطراء وميّزوا القول فيهما عن القول فى الوصف والهجاء والأغراض الأخرى. وربما كان اختلاف القول فى أحد هذه الأغراض عن غيره راجعا إلى نوع التركيب أو إلى خصوص المفردات أو الصور البلاغية أو الصور التخييلية. فالوصف مثلا يفضل التراكيب الخبرية ولكن الغزل والرثاء تشيع فيهما التراكيب الإنشائية إما طلبية كالاستفهام والتخصيص وإما إفصاحية غير طلبية كالتعجب والقسم والندبة. فإذا تأملنا صنيع النقاد العرب هذا فربما صح أن ننسبه إلى ما يقول به اللغويون المحدثون من الفصل بين خطاب وخطاب.

ففى مجال دراسة الخطاب يواجهنا فى البداية الفرق بين لغة العلم ولغة الأدب ولغة المهنة وفى إطار كل من هذه الأقسام الكبرى نجد اختلافا بين فرع وآخر ففى مجال العلم يختلف الخطاب بين لغة الرياضيات والطبيعيات والإنسانيات وفى مجال الآدب اختلاف الشعر والنثر وتحت كل معهما أغراض كما رأينا فى أغراض الشعر منذ قليل وفى مجال المهنة تختلف لغة المحامين عن لغة الوعاظ أو لغة الصنَّاع أو الاقتصاديين فلكل من هذه اللغات خطاب من نوع معين. هذا هو المقصود بلفظ الخطاب فى كلامنا هذا.

فإذا تأملنا الأسلوب القرآنى وجدنا تنوعا فى الخطاب بين مانزل من القرآن بمكة وما نزل منه بالمدينة وذلك على وجه العموم. فالقرآن المكى نزل للدعوة إلى الإسلام خالصة لهذا الغرض. أما القرآن المدنى فقد ضم إلى الدعوة أغراض التشريع والأخلاقيات وآداب السلوك إلى غير ذلك مما يتطلبه تنظيم مجتمع مستقر واضح المعالم. ثم نجد فى نطاق كل من الخطابين المكى والمدنى أساليب ترعى الفروق بين الخطاب القصصى وخطاب الحِجَاجِ أو التنديد بالنفاق أو النهى عن بعض الأعمال الموروثة أو المخالفات السلوكية أو وصف القيامة والحياة الآخرة وما يتصل بها من وصف نعيم الجنة وعذاب النار والخلود فيهما. ولقد مر بنا منذ قليل إشارة سريعة إلى شىء من هذه النصوص فرأينا كيف تختلف الناحية التركيبية فى القرآن المكى عنها فى القرآن المدنى سواء من حيث الترخص فى القرائن النحوية عند أمن اللبس أم من حيث الأساليب العدولية أم من حيث استعمال القيم الصوتية كتحويل

﴿ دَحَاهَا ﴾ (النازعات ٣٠) إلى ﴿ طَحَاهَا ﴾ (الشمس ٦) لإرادة التأكيد فى معرض القسم. إن الصورة النموذجية للقرآن المكى تبدو فى قصار السور التى تسود فيها قصار الآيات بما تشتمل عليه من شدة على الكفار وتنديد ووعيد وترغيب وترهيب وتخويف من عقاب الدينا بمثل ما أصاب القرون السابقة من الهلاك ومن عقاب الآخرة بوصف نار جهنم وما يلحق الكافرين من عذابها. فمن نماذج القرآن المكى:

* قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام ١)

* ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ (الأنعام ٨ ـ ٩).

* ﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (الأعراف ٢ ـ ٤).

* ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (يونس ٢٦ ـ ٢٧).

* ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود ٤٩).

* ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف ١١١).

* ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ (الكهف ٤٩).

* ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (الفرقان ٤ ـ ٦).

* ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (يس ٣٧ ـ ٣٩).

* ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ (الصافات ١٢ ـ ١٨).

* ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الزمر ٦٠ ـ ٦١).

* ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق ٦ ـ ٨).

* ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ

اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (النجم ١٩ ـ ٢٣).

* ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ④ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ⑥ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ⑦ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑧ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑨ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ (الواقعة ١ ـ ١٠).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (المدثر ١ ـ ٧).

* ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ① أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ (عبس ١ ـ ٤).

* ﴿ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر ١ ـ ٣).

يتصح من هذه النماذج القرآنية أنها تدور حول أمور عدة كلها يدور حول الدعوة إلى الإسلام: فهناك.

١ ـ الإشارة إلى قدرة الخالق

٢ ـ الرد على مما حكات الكفار

٣ ـ الإنذار بالهلاك كما هلكت القرون الأولى

٤ ـ الترغيب فى رضى الله والترهيب من سخطه

٥ ـ القصص القرآنى

٦ ـ وصف أهوال القيام

٧ ـ المحاجة

٨ ـ تسفيه عبادة الأصنام

٩ ـ الحضّ على مباشرة الدعوة

أما الخطاب فى القرآن المدنى فيضيف إلى الاهتمام بالدعوة الاهتمام بأمور أخرى تظهر من الشواهد التالية:

* ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة ١٠٩).

* ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة ١٤٢).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة ١٧٨).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ١٨٣).

* ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٨٨).

* ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٢٤).

* ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ..... ﴾ (البقرة ٢٢٨).

* ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦).

* ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾(البقرة٢٦٣) * ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوه..... ﴾ (البقرة ٢٨٢). ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (آل عمران ١٢).

* ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ..... ﴾ (آل عمران ٦٥ ـ ٦٨).

* ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..... ﴾ (آل عمران ١١٠).

* ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ..... ﴾ (آل عمران ١٢١).

* ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ..... ﴾ (النساء ١١).

* ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ..... ﴾ (النساء ٢٣).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ..... ﴾ (النساء ٥٨).

* ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء ٦٥).

* ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ٧٤).

* ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا..... ﴾ (النساء ٨٦).

* ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (النساء ١٤٨). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ..... ﴾ (المائدة ١).

* ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ..... ﴾ (المائدة ٣٨).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ..... ﴾ (المائدة ٥١).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة ٩٠).

* ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال ١).

* ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (الأنفال ٤١). ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال ٦١).

* ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة ٦).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ ﴾ (التوبة ٢٣).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (التوبة ٢٨).

* ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (التوبة ٣٦).

* ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ٦٠). ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ (التوبة ١١١).

* ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم ﴾ (التوبة ١٢٢).

* ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج ٢٧). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ .... ﴾ (النور ٥٨).

* ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ..... ﴾ (النور ٦٣).

* ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ..... ﴾ (الأحزاب ٥).

* ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ..... ﴾ (الأحزاب ٣٦).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ..... ﴾ (الأحزاب ٥٣). ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ .... ﴾ (الأحزاب ٥٩).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ.... ﴾ (الحجرات ٢).

* ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ..... ﴾ (الحجرات ٩).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ... ﴾ (الحجرات ١١). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (الحجرات ١٢).

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ..... ﴾ (الحجرات ١٣).

* ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ ﴾ (المجادلة ٢).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ (المجادلة ٩).

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ.... ﴾ (المجادلة ١١).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوص ﴾ (الصف ٤). ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ المنافقون ١).

* ﴿ ا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ..... ﴾ (الطلاق ١). تلك كانت الاقتباسات التى اخترناها ممثلة للقرآن المدنى ونستطيع أن نرى منها ما يلى:

١ ـ الصراع بين الدعوة الإسلامية وعداوة اليهود لها وللمسلمين.

٢ ـ اتخاذ هذه العداوة للمسلمين صورا شتى من الكيد والمعارضة كما يتضح من موقفهم من تحويل القبلة.

٣ ـ نزول التشريعات المختلفة لتنظيم العلاقات والمعاملات فى المجتمع الإسلامى وتناولها بالتحليل والتحريم.

٤ ـ الدعوة إلى مكارم الأخلاق والعدل فى معاملة الغير.

٥ ـ دعوة المؤمنين إلى أن يتأديوا فى خطابهم للرسول وزيارتهم لبيوته.

٦ ـ تنديد القرآن الكريم بظاهرة النفاق التى لم تكن قائمة فى العهد المكى من عهود الدعوة.

كل أولئك يمثل الفرق بين الخطاب القرآنى فى العهد المكى ونظيره فى العهد المدنى. والله سبحانه تعالى ولى التوفيق.